وقائمة فعلاً في الساحة الفلسطينية، فتتيح خلق حالة استقطاب قصوى تتمكن من استيعاب الرقي الموجود في الوعي السياسي العام، واستيعاب الاستعداد المبدئي لدى قطاعات واسعة من سكان الضفة الغربية لمواجهة الاحتلال؟

قد تكون الإجابة المباشرة عن مثل هذا التساؤل غير صحيحة، لكننا نرى ان القلق الفلسطيني التقليدي يسمح لنا بالقول بأن معطيات راهنة كثيرة تعيشها الضفة الغربية، تدفعنا إلى القول بأن قنوات العمل السياسي هناك تعيش أزمة فعلية.

ولننظر إلى الأمر بواقعية. فبعد محاولة اغتيال بسّام الشكعة وكريم خلف، وابعاد فهد القواسمة ومحمد ملحم والشيخ رجب التميمي، وبعد التهديدات اليومية لرؤساء البلديات الآخرين بتصفيتهم، أو عدم وضوح ولاء بعضهم الآخر للأهداف الوطنية العامة ووسائل تنفيذها، وفي ظل الشعار الاسرائيلي لفرض الوقائع، فان ذلك يعني ان خسارة معينة لا يستهان بها قد أصابت بنية القيادة السياسية المحلية للحركة الشعبية في الضفة الغربية، وان قوة الرموز الرئيسية التي تحرّك لجنة التوجيه الوطني ، من حيث كونها الاطار التنظيمي الذي تجتمع به كافة القوى السياسية الفاعلة، قد ضعفت إلى حد ما.

إذا كان ذلك صحيحاً، فهل يعني أن قنوات العمل السياسي في الضفة الغربية تعيش أزمة؟

علينا ان نبادر إلى القول بداية، ان كل هذه الوقائع الصحيحة لا تعني، اطلاقاً، ان الحركة الشعبية في الضفة الغربية في طريقها إلى ان تفقد قيادتها؛ إذ ان الزخم المطرد للحركة الشعبية كفيل دائماً بافراز رموزه القيادية، وهذه ليست مقولة ميتافيزيقية كما تبدو للوهلة الأولى، إذ ان هذا الزخم ذاته هو الذي تكفل سنة ١٩٧٦ بافراز قيادات وطنية من قماشة هذه الحركة، لم يسبق لأغلبها ان احتل مواقع القيادة. ان هذه الرموز مرشحة دائماً للاستشهاد، فلا يمكن أن يعني استشهادها ان الحركة الشعبية قد تجمدت أو انها مرشحة للتراجع. ان جدل الصراع في ذاته مؤهل، وبشكل يومي، لبناء رموز القيادة البديلة. ففجأة، أو كالمفاجأة، تبرز رموز جديدة فتبدو وكأنها سقطت من السماء. ان كل ذلك لا شك فيه لكنه لا يتناقض مع القول بأن خللاً معيناً قائم، في هذه اللحظة، في بنية القيادة الوطنية المحلية في الضفة الغربية، وهو الخلل الناتج عن اشتداد حمأة الصراع، واضطرار العدو للقتال بالاسلحة المكشوفة (الاغتيال، الابعاد) وهو الاضطرار المرشح للتطور بحكم تطور الصراع ذاته.

ثم.. لنحاول قول التالي: إذا كان صحيحاً ان أزمة معينة قد أصابت بنية القيادة الوطنية في الضفة الغربية، وهو صحيح كما تشير الوقائع، فما هو الحل؟ هل يكون باحلال رموز أخرى، وكيف يتحقق ذلك؟ فاذا كانت الحركة الجماهيرية هي التي افرزت الرموز الحالية عندما تمكنت من التعبير عن نفسها في الانتخابات البلدية عام ١٩٧٦، فكيف يكون الحل طالما ان العدو لم يعد متمكناً من استمرار التعاطي باللعبة الديمقراطية، وكيف يكون الحل في وقت تتالى فيه التصريحات من قيادات العدو التي تؤكد أنه لن يُقبل مرة أخرى على تكرار تجربة ١٩٧٦، في الوقت الذي يعمق فيه درجة قمعه. هل